دراسة أزمةالهوية فيرواية "طشاري" لأنعام كجه جي وفقا لنظرية استيوارت هال

السيدة مژگان توكلي
طالبة دكتوراه اللغة العربية بجامعة كاشان،ايران
mo.tavakoli100@yahoo.com

الدكتور محسن سيفي
أستاذ مشارک،قسم اللغة العربية بجامعة كاشان،ايران
Motaseifi2002@yahoo.com

الدكتور روح الله صيادي نژاد
أستاذ مشارک،قسم اللغة العربية بجامعة كاشان،ايران
saiiadi57@gmail.com

A study of the identity crisis in the novel “Tashari” by Anam Kachaji according to the theory of Stuart Hall

Mozhgan Tawakli
PhD student of Arabic language at University of Kashan, Iran

Dr. Mohsen Seifi
Assis. Prof. of Dep. of Arabic Language, University of Kashan, Iran

Dr. Ruhollah Sayadinejad
Assis. Prof. of Dep. of Arabic Language, University of Kashan, Iran

الملخّص:

الهوية منأهم مكونات شخصيةالإنسان وهي علامة على الطبيعة الوجودية للإنسان وتمنحه الفرصة لتحديد موقعه فيما يتعلق بالعالم والآخرين. تعدّ الهويات الجديدة من أكثرالموضوعات تحدياً والتي يتم أخذها في الاعتبار في نظريات النقد الاجتماعي. رواية "طشاري" التي كتبها أنعام كجه جي هي إحدى الروايات التي تصور تحديد هوية المهاجرين في فترة مابعد الاستعمار و منخلال الاقتباس من المفاهيم والقيم الغربية ودمجها مع مؤشرات الهوية الشرقية، فإنها تتحدى الثقافة المحلية للعراق وبالتالي أزمة هويتهم. قام البحث الحالي، القائم على النقد الاجتماعي، بفحص هوية شخصيات هذه الرواية من وجهة نظر استيوارت هال، منظّر مابعد الحداثة. تشير نتائج هذا البحث إلى أن مكونات نظرية هال مثل؛ وقد تجلت في هذه الرواية بشكل جيد الاكتئاب والشرود، وفجوة الأجيال، وتقليد اللغة المضيفة، ودونية الشرق مقارنة بهيمنة وتفوق العالم الغربي. شخصيات الرواية، الذين كانوا مرتبطين ببلدهم، غادروا هناك طوعاً أو كرها بسبب الحرب والمشاكل السياسية، ومن خلال الهجرة إلى أرض المنفى، واجهوا بيئة طالما تحدت وجودهم لدرجة أن لديهم ازدواجية في أفكارهم ومشاعرهم ويشاركون في القوى. لقد أصبحوا متضاربين بينما لايعرفون بالضبط المجتمع والثقافة الذي ينتمون إليه وكيف يجب أنيتكيفوا مع ظروف المجتمع الجديد واحيانا يتحدون التوقعات التقليدية في ثقافتهم لدخول السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع الجديد.

Abstract:

Nowadays, new identities are one of the most challenging topics that are considered in the theories of social criticism. The novel "Al-Tashari" written by Anam Kajeji is one of the novels that depicts the identification and identifiability of immigrants in the post-colonial period. The current research, based on social criticism, has examined the identity of the characters of this novel from the point of view of Stuart Hall, a postmodernist theorist. The results of this research indicate that the components of Hall's theory, such as; Depression and wandering, generation gap, imitation of the host language and the inferiority of the East compared to the dominance and superiority of the Western world have been well manifested in this novel. The characters of the novel, which were attached to their hometowns, have left there voluntarily or involuntarily due to war and political problems, and by immigrating to the land of exile, they have faced an environment that has always challenged their existence to the point where they have duality in their thoughts and feelings and are

الكلمات المفتاحية : انعام كجه جي، استيوارت هال، طشارى، أزمةالهوية،الرواية العربية المعاصرة.

involved in forces. They have become conflicted while they don't know exactly which society and culture they belong to and how they should adapt themselves to the conditions of the new society and sometimes they defy the conventional expectations in their culture to enter the social and cultural context of the new society.

Keywords: Anam Kaje Ji, Stewart Hall, Al-Tashari, Identity Crisis.

المقدمة

أصبحت قضية الهوية والتحولات الناتجة عنها ـاليوم ـ محط اهتمام العديد منعلماء النفس وعلماء الاجتماع لأن الهويات القديمة التي عززت العالم الاجتماعي لفترة طويلة آخذة في التدهور وأعطت مكانتها لهويات جديدة وعصرية. الإنسان كموضوع التوحيد ينهار، والذي يتم تفسيره على أنه "أزمة الهوية".

من عواقب أزمة الهوية في العصر الحالي قضية الشتات التي ترتبط بالنفي والهجرة القسرية وعصر العبودية و قددخلت الآن ساحة جديدة. الأجيال الثانية والثالثة من أولئك الذين هاجروا أو استقروا في مواقف متناقضة. من جهة يرتبط تاريخ هؤلاء بتاريخ العبودية والاستعمار والاستغلال، ومن جهة أخرى يواجه الجيل الثاني وخاصة الأجيال الثالثة ازدواجية مكان الإقامة ومسقط رأسهم.

القضية الرئيسية هي أن العولمة، بكل عيوبها، قدوفرت الأدوات ووسائل الإعلام للمجموعات الهامشية حتى يتمكنوا من تمثيل هوياتهم الثقافية والمشاركة في سياسات الهوية الثقافية فيلعب هذا الوضع دوراً محورياً في نضالات المقهورين وتشكيل العالم الحديث. تعتبرالعراق الجديد منالدول "المؤسسة" في منطقة الشرق الأوسط، وقد تأسس عام (١٩٢٠م)، بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، نتيجة للسياسات الاستعمارية البريطانية (نادرى، ١٣٨٦ش: ٢٥٠). ليكن تسببت الحروب الأهلية والاضطرابات السياسية والصراعات الإقليمية والتغييرات العشوائية في النظام

في هجرات واسعة ومستمرة وقانونية وغير شرعية لأبناء أراضيها في الداخل والخارج، وخاصة إلى الغرب.

أنعام كجه جي، الروائية العراقية التي شهدت هذا الوضع عن كثب، في روايتها "طشاري" أدارت بشكل جيد أزمة الهوية للمهاجرين الذين غادروا وطنهم ويعيشون في فضاء مزدوج في البلد المضيف، لكنهم اضطروا إلى التكيف مع المجتمع الجديد من أجل أن يتم قبولهم كعضو في ذلك المجتمع.

اسئلة البحث

يهدف هذا البحث دراسة رواية "طشاري" لإنعام كجه جي من وجهة نظر استيوارت هال و الكشف عن أزمة الهوية لشخصيات الرواية، خاصة "وردية" و "هنده" و "إسكندر"، والإجابة على الأسئلة أجب عما يلي:

١.ما هي التحديات التي تواجهها الشخصيات في البلد المضيف؟

٢.كيف تتحدى عناصر الغرب هوية المهاجرين ومنهم وردية وابنته هنده وشخصيات أخرى في الرواية؟

خلفية البحث

لقدبحثت نوره عباس على في بحثه المسمّى بـ«تداعيات المكان فى روايته انعام كجه جي / المكان اليف المفهوم و الانموذج» (مجله العلوم الاسلامية، العدد ٢٤ :٢٠١٧) في المكان الذي يحتل مكانة خاصة في حياة الإنسان ويستحضر ذكريات الماضي إلى جانب الأحداث والشخصيات المهمة.

لقد بحث ضفاف عدنان اسماعيل في بحثه بعنوان «نسق الاسترجاع فى روايةالطشارى» (مجله جامعة بابل للعلوم الانسانيه، عدد٦: ٢٠١٩) في قوة الزمن وقدرته على استحضار الأحداث من وجهة نظر الشخصية الرئيسية في الرواية.

لقد درستا فاطمه اعرجى و شهريار نيازي في ورقتهما المسمّاة بـ«بازنمايي فضاي سوم در رمان الحفيد الامريكية» (مجله دانشكده ادبيات و علوم انسانى مشهد، شماره ٢: ١٣٩٨) الهوية مابعد الاستعمار، والتي كانت في الواقع هوية غير مستقرة ومتعددة.

كتبت زينب هادي حسن و جاسم هادي دراسة بعنوان «القلق الوجودى فى في الرواية انعام كجه جي، سواقي القلوب، الحفيد الاميريكية، طشاري، النبيذة» (المجلة العلوم الاساسية، عدد١: ٢٠٢١) وقد بحثت في أشكال ومظاهر القلق وتعدد أسبابه وأثره العميق على حياة شخصيات الروايات المذكورة.

البحث الحالي يحاول تسليط الضوء على رواية "طشاري" للروائية العراقية أنعام كجه جي و لم يتم دراستها بشكل مستقل من منظور أزمة الهوية وفقا لنظرية استيوارت هال.

الهوية و أزمة الهوية

"الهوية" من أهم الموضوعات التي جذبت انتباه العلماء والباحثين (نعمان، ١٩٩٥م: ٢١). في الحضارة العربية الإسلامية، تتكون هذه الكلمة من الضمير "هو" الذي يشير إلى جوهر الشيء والحقيقة التي يحتوي عليها (عمارة،١٩٩٩م: ٦).

الهوية هي "مجموعة من المعتقدات العقلية التي يتم الحصول عليها من خلال الاختلاف بين الذات والآخر" (غسان، ٢٠٠٢م: ١٠٣-١٠٤) بمعنى آخر، "الهوية تشمل الإنجازات المادية والروحية والاجتماعية التي تتحقق من خلال علم الاجتماع". من وجهة نظر اجتماعية، الهوية هي مجموعة من المفاهيم والخبرات التي تتشكل علىأساس الخصائص الثقافية الناتجة عن العلاقات العرقية ويتصرف الشخص عليها بطريقة عصامية (محمد،٢٠٠٠م: ١٦-١٨).

في علم النفس، تعتبر الهوية من الخصائص الفردية للإنسان، وهي الوحدة والنزاهة التي تشعر بها الإنسان في حالته العقلية وفقًا لتغير الموقف وظروف وجوده. من وجهة نظر علم النفس، تصبح الهوية ذات مغزى عندما يواجه الشخص شخصًا آخر، وهذا الآخر هو أعضاء المجتمعات الأخرى والأدوار الجديدة التي يقوم بها الشخص (المسكيني، ٢٠٠١م: ٧- ١١).

بعد هذه التعريفات، ينبغي أن يقال: إن تفسير الهويات العابرة والمتجاوزة للحدود هو أحد المجالات المهمة لنقد مابعد الاستعمار، وهذا النوع من النقد يسعى إلى التحقيق في هويات عرقية وقومية ودينية واجتماعية جديدة في فترة مابعد الاستعمار. ومقارنتها بالفترة التي سبقتها، وبشكل عام فهي تتضمن أي بحث عن آثار الاستعمار على غالبية ثقافات العالم (برتنز، ١٣٨٢ش: ٢٥٦). بالتركيز على الاختلاط العالمي للثقافات والهويات التي أنشأتها الإمبريالية، يسعى إلى قراءة ما بعد القومية و دراسة التقارب الدقيق بين المستعمِر والمستعمَر (كاندي، ١٣٨٨ش: ١٨٧).

معنى أزمة الهوية هو في الواقع تغيير واختلال التوازن الذي يحدث في الهوية، وهذه الأزمة قد تؤثر حتى على السلوك والقيم (الزيود، ٢٠٠٦م: ٤٠). بعبارة أخرى، تعد أزمة الهوية جزءاً من عملية تغيير أوسع تزيح الهياكل والعمليات المركزية للمجتمعات الحديثة وتضر بالأطر التي كانت بمثابة دعم قوي للأفراد في العالم الاجتماعي (هال، ١٣٩٧ ش: ٨).

بناءً على ذلك، يمكننا أن نستنتج أن الأشخاص الذين ليس لديهم هوية هم أشخاص مرتبكون في أهدافهم، مرتبكون في أفعالهم ومربكون ومكتئبون لايعرفون من هم وماذا يريدون وما يجب عليهم فعله. هناك أناس لايعرفون أنفسهم ولايعرفون ماضيهم ومجتمعهم، ومع ذلك فهم لايسعون

وراء هدف ولايبتكرون أي ابتكارات، وهم في الواقع معزولون عن الماضي ومتشائمون بشأن المستقبل.

"استيوارت هال" قدطرح نظريته المشهورة بعنوان «نظرية الشتات» و "إنه أحد أهم الشخصيات في تاريخ الدراسات الثقافية البريطانية الذي ينتمي إلى عائلة افريقية-كارائيبية ولكنه ولد في جامايكا. مثل هوغارث و ويليامز، عمل لأول مرة كمعلم وأدار مركز الدراسات الثقافية المعاصرة من ١٩٦٨(١٩٦٨م إلى ١٩٧٩م) (اسميت،١٣٨٣ش: ٢٥٠).

في مقال بعنوان "الهوية الثقافية والشتات" ، يربط هال نظريته حول الهوية بالشتات. في تعريفه للشؤون الثقافية وأشكال التمثيل المتعلقة بموضوع السود، يعتقد أنهم تحدوا مفهوم الهوية. (نفس المصدر:٢٢٢) يعتقد هال أنّ الهوية الثقافية لها طريقتان في التفكير. تعتبر الطريقة الأولى الهوية الثقافية ثقافة مشتركة، نوعاً من الهوية الجماعية الحقيقية المخبأة داخل فرض الذات المتعلق بالتاريخ والأصل المشترك للناس (ذلك المصدر مرة الاخرى: ٢٢٣).

من جهة أخرى نظرية هال ترتبط بالهوية الثقافية. فهو إلى جانب العديد من النقاط المشتركة، يؤكد على الاختلافات الكبيرة والعميقة ويعتقد أنها تتشكل على أساس ما نحن عليه وما أصبحنا عليه حقًا. وهو يعتقد أن الهويات الثقافية تعكس الخبرات التاريخية والرموز الثقافية المشتركة (هال، ١٣٩٧ش: ١٢٣).

كما يعتقد أنه في بعض الأحيان يتم تحفيز الثقافات الوطنية لإعادة الوقت الضائع عندما كانت الأمة تتمتع بالعظمة من أجل استعادة الهوية الماضية، والتي هي عنصر رجعي وعابر للتاريخ في الثقافة الوطنية. غالباً ما تكون هذه العودة إلى الماضي من أجل النضال من أجل تهجير الناس و طرد الآخرين الذين يهددون هويتهم (ذلك المصدر مرة الاخرى: ٨٩).

طشاري في سطور

هذه الرواية مكتوبة في ٢٤٥ صفحة وتبحث في حياة ثلاثة أجيال من المهاجرين بما في ذلك؛ دفع وردية و هندية واسكندر. بالإضافة إلى الاستماع إلى رواية هؤلاء الأشخاص الثلاثة حول حياتهم وعلاقتهم معًا، فقد صادفنا أيضًا قصصًا صغيرة حول العديد من الأشخاص الآخرين. لكن محور القصة هو هؤلاء الثلاثة، و "وردية" هي الشخصية المركزية في الرواية. الرواية هي قصة هذه المجموعة التي سئمت الحرب وتبحث عن وطن ومكان ينتمون إليها، لذا قرروا مغادرة العراق. فوردية، أحد الشخصيات الرئيسية في الرواية، تذهب إلى فرنسا بإرادتها وبسبب اليأس والكراهية تجاه تلك الأرض (العراق) ولا تزال تعيش مع ابنة أخيه.

على الرغم من جهودها للتكيف مع المجتمع الجديد، إلا أنها تشعر دائمًا بالحب لوطنه وتريد العودة إلى أرضه. على الرغم من أنه ترى أنها من المستحيل العودة إلى أرضه ، فإنها تطلب من

حفيد أخيه إسكندر أن يصمم قبرًا على الأقل في جهاز الكمبيوتر الخاص به ويجمعها عن طريق دفنها في تلك المقبرة.

لكن "هندة" وهي طبيبة خبيرة مثل والدتها، هربت من العراق مع زوجها "سلام" الذي كان مهندسا ، بعد مآسي الحرب (١٩٩١م) وحصلت على تأشيرة سفر إلى كندا بجهود متواصلة. لكن وصولهم إلى كندا أصبح بداية مأساة بالنسبة لهم لدرجة أنها تحاول التكيف مع الظروف في كندا ومن خلال إيجاد استقرار نسبي وهوية مزدوجة جديد، تصبح أكثر ارتباطًا بالمجتمع الجديد ، ولكن على الرغم من ذلك. اختلاطها بتلك الثقافة لا تزال لديها علامات الثقافة الشرقية في كيانها وتحب العودة إلى أرضها والاستسلام لهويتها الأصلية.

اسكندر هو الجيل الثالث من هؤلاء المهاجرين لكنه نشأ في أرض أخرى ويختلف كثيرا عن عائلته من حيث الهوية والثقافة. إنه يتحدث الفرنسية وأسلوب حياته مشابه لنمط حياة المجتمع المضيف، وليس لديه فهم سليم لتجارب والديه، بحيث أنه عندما تدخل وردية عائلته، تحاول التقريب من ثقافة الأهل. المجتمع الذي حُرم فيه من العيش، لكنه تعاني من ازدواجية الهوية واللغة وما إلى ذلك ، بينما تدرك أن الثقافة واللغة لا تناسبه في أرض المنفى.

أزمة الهوية في رواية «الطشارى»

رواية طشاري ورغم أن لها جانبًا سياسيًا ، إلا أنها تروي قصة إحدى حالات الهروب المسببة للأزمة للمهاجرين ووصف أزمة الهوية وقصة الفوضى التي أعقبت ذلك.

الشتات،فترة الاكتئاب والتناقض والاستبطان للجيل الأول والثاني

منآثار الشتات الاكتئاب والاستيعاب الذاتي حيث يحاول المهاجر مواجهة الصعوبات الحقيقية للاندماج واكتساب هوية جديدة بطريقة جديدة للاندماج في المجتمع الجديد وبناء حياة جديدة. البدء من جديد، التقليل من مصداقية الماضي، الصعوبات اللغوية للتعبير عن المشاعر والرغبات، الاختلافات الثقافية، عدم الإلمام بفروق المجتمع الجديد، الافتقار إلى شبكات الاتصال، الشعور بالإذلال والتمييز، مستقبل غير آمن، الصعوبات الاندماج للمهاجرين والمنفيين يتعلم.

بدلاً من الرغبة في الاندماج، يمكن أن تؤدي هذه العملية إلى البحث عن الماضي وتعزيزه وإبراز بعض الانشغالات والإنجازات الثقافية للماضي على النقيض أو التمايز مع ثقافة المجتمع الجديد. في تلك البلدان الغربية حيث كراهية الأجانب والعنصرية أقوى، يشعر أكثر بالإذلال والتهميش والانفصال والعزلة، واعتبارهم كإنسان من الدرجة الثانية. «المهاجر يرى أنه على الرغم من بذل الكثير من الجهد، إلا أنه لايحرز تقدماً يُذكر ويُعرف دائمًا بآخر، فهو يفقد ثقته بنفسه

وانتمائه إلى المجتمع الجديد والشعور باليأس، وهو نوع من الضعف والمتردد. في وجوده يتحرك ويزيد الرغبة في إبراز القيم الماضية في كيانه (درويش بور، ١٣٨٦ش: ٢١٣- ٢١٢).

الصعوبات التي يسببها الشعور بالاختلاف والاعتبار كمواطن من الدرجة الثانية تكثف إغراءات العودة في مثل هذا الوقت. وفي هذه المرحلة، يتم التعبير عنها بكلمات مثل الحنين، والشوق إلى الماضي وتذكر الماضي والتشرد ومع مفاهيم مثل الاغتراب والازدواجية والتجول مرتبط (احمدزاده،١٣٩١ش، ١٢-١١).

فإن الهجرة التي حدثت لشخصيات هذه الرواية، بما في ذلك ثلاثة أجيال من المهاجرين العراقيين، تعود إلى حروب المدن والفوضى السياسية والتغييرات العرضية في النظام السياسي، إلخ. إنهم يحاولون الذهاب إلى الأماكن التي تأتي منها البضائع وفرص البقاء على قيد الحياة أعلى من وجهة نظرهم، وفي عصر الاتصال، اختاروا الغرب كتذكرة باتجاه واحد للهجرة (هال: ١٠٦).

تبدأ الرواية برواية طبيبة عراقيةاشتعلت في بلادها نيران حرب. فهي تصف لنا الأوضاع الغامضة السائدة في بلدها «بأن الامور فى البلد قد تعسّرت مثل ولادة مات فيها الجنين فى بطن الام » (كجه جي: ٣٤-٣٥) لكنها تصر على سير حياتها بكل الصعوبات من أجل مواصلة الحياة، فهي تردد لنفسها باستمرار: «أموت و أدفن هنا و لاأتهجر» (ذلكالمصدر مرة الاخرى: ٤٠)

لكن هذهالنار في أرضها تجعلها تتعب من التنهدات والشوق حتى بعد عناد طويل تضطر للاستسلام لرغبات أبنائها ومغادرة البلاد إلى باريس في يوم صيفي على متن طائرة أردنية في سن الثمانين.وهي على استعداد للتقدم بطلب للحصول على جواز سفر أجنبي والتخلي عن جواز سفرها والاعتراف بأنها لاجئة في قارة أجنبية: « لم يعد لي في زلك البلد، ما يبقيني و لا من يمسكني. دفنت الزوج و اقفلت العيادة و رايت السرسرية يحتلون الطروقات و صارت أيامي مثل عدمها» (ذلك المصدر مرة الاخرى: ٢٤).

عندما تفتح وردية عينيها لتجد نفسها على أرض فرنسا، وتواجه قصرًا رماديًا قديمًا أمام كاميرات تليفزيون الدولة التي فتحت له باب اللجوء، ترى هويتها الفردية، التي هي "حياة" مختلفة ، "خبرة" و "مفاهيمية" يواجها التهديد الذي يفصلها عن المواقف الثابتة والتقاليد وتسبب قطيعة عميقة مع ماضيها.

من أجل الهروب من هذا التغيير في الهوية، تحاول استعادة كل فعل وفكر في الماضي تتوافق مع هويتها الشخصية ، وتتذكر جميع الأسماء والروائح والأذواق والأغاني والضحك ونوبات الغضب والآلام والأدعية التي تتابع في صدرها دماغها ، فهى حريص على إبقاء ألسنة اللهب هذا النقص في التغيير مشتعلة بداخلهه.لكنه خلال هذه الهجرة، تنتقل الهوية الثقافية لفردية بين مواقف مختلفة وفي نفس الوقت تجتذب تقاليد ثقافية مختلفة وتصبح نتاج تغييرات معقدة ومجموعات ثقافية جديدة تنتج وتعيد إنتاج نفسها من جديد.

في هذا الصدد، ونتيجة والاستيعاب خلال مسار مابعد الحداثة ، أصبحت هويتها الوطنية في حالة منالبلى، وبعد استعادة هوية جديدة، تدخل المجتمع الجديد تدريجياً وتصبح متشابهاًو مرتبطاً به، بحيث تصف بنت أخيها حالتها:

« كل شيء فني الحياة ينمو و يزدهر، حتى الموت. حتى عمتى. أنظر اليها فأراها تتراجع فى العمرو تقترض شيئنا من الق الصبا بدل أن تتقدم فى الشيخوخية كأن جسمها خفّ منذ أن جاءت إلى باريس و وضعت رأسها على وسادة الطمأنينة. دبّت أطيافت حمرة في خديها و استقر اللون الرمادي في شعرها لا لا يريى أن يتقدم و يحتاج بقية الرأس تدهشني رغبتها في العمل و في أن تقود سيارة في شوارع باريس. كأن السياقة هنا ارفع من السياقة هناكز انجاز رياضي تسعي لاضافة الى صفحتها» (ذلكالمصدر مرة الاخرى، ١٥٦-١٥٧) بالطبع، أصبحت طريقة الحياة هذه التي خلقتها الحداثة عاملاً يفصل وردية عن أنواع النظام التقليدي بطريقة فريدة تماماً ويمكن أن يغير مكوناتها الشخصية والحميمة في فترة زمنية قصيرة.

لتتمكن من التعامل مع حزن التشرد إلى حدما وتكتفي بالتواصل مع أبنائه من خلال الورق والرسائل :«تسوف اوراق الرسائل و تتشقق من كثرة القراءة و التقليب» (كجه جي: ٥٧) ومن أجل تلقي هذه الرسائل، استمع إلى جرس ساعي البريد.

لذلك، علىالرغم من حقيقة أن وردية تعترف: «اختارت أن تجيء إلى هنا بملء إرادتها» (كجه جي: ١٢٩) لكنها تعتقد ذلك في أعماقها: «إن السفر لم يكن قدري لكنني سرت اليه مثل المنومة» (كجه جي: ٢٣) وتظهر أن طبيعتها الوطنية ظلت ثابتة في فترات الصعود والهبوط وعلىالرغم من كل المتغيرات، مما جعلها تكثف إغراءات العودة، حيث تبدو أنها راضٍ عن البقاء في المنفى والعيش فيه حياة خادعة. كما يقول الإسكندر عندما أخبرها: «عمة، ألا تحبين باريس؟ احبها لكنني لا اريد أن أموت هنا و أدفن في فرنسا. هاي هي المشكلة؟» (ذلكالمصدر مرة الاخرى: ٩٢) لا يستطيع أن يفهم حزنها الوجودي على حالة الأرض التي يموت فيها شعبها كالذباب.

من ناحية أخرى، هناك جهد قوي بنفس القدر لإعادة بناء الهويات المصقولة، لاستعادة التماسك الكامل والتقاليد التي تم وضعها ضد تعدد الأجناس. التي يشار إليها على أنها إحياء القومية التخصيصية والاستبداد العرقي و الأصولية.

وردية رغم أنها تقضي الأيام الأخيرة من حياتها ولم تعد بإمكانها العودة إلى أرضها وتعتقد أن وطنها قد هجرها وليس تحت مظلتها، إلا أنها تحاول بناء مقبرة إلكترونية من خلال مناشدة حفيد شقيقها. اسكندر «هدية ثمينة تعادل شهادة الطب أو خاتم الزواج أو ملكية بيتها الكبير الزي شيدته في بغداد بعد عودتهم من الديوانية» (كجه جي: ١١) لإحياء التقاليد والتاريخ الخاص لأرضه رغم أنها بعيد عنها في ذهنها، رغم أنها تعترف في نهاية القصة أن هذه المقبرة الإلكترونية لا تمكن أن ترضيها لأنها ترى أنها وهم جميل في زمن بلا روح.

شخصية أخرى في الرواية هندة الجيل الثاني من هؤلاء المهاجرين. الحروب العديدة التي شهدتها العراق تسببت في قلقها وقلقها على زوجها سلام وطفليها، حتى أنها تعاني من أزمة هوية بسبب العودة من الأردن إلى العراق أو السفر إلى كندا والقرار بمغادرة وطنها المنفصل. لقد كانت من المستحيل بالنسبة لها ، فقد جعل الأمر صعبًا لدرجة أنها لا توجد لديها إمكانية العودة إلى المنزل ولا يمكنها ضمان الاستقرار في المنزل الجديد سيجلب لها السلام .

إنه في حالة من عدم اليقين بشأن مكان ومستقبل نفسها وأطفالها وتواصل الحديث مع نفسها:«ثم تعود و تفكر و يمكن أن ينتظر الصغيريتن من مستقبل فى حال درسوا و عاشوا في كندا» (كجه جى: ١٨٤) لكن الحوادث تحدث واحدة تلو الأخرى بسرعة يصعب عليهم قبولها، بينما يقدمون وثائقهم إلى السفارة الكندية في عمان حتى يمكن قبولهم كلاجئين في كندا.

الهوية الثقافية هي عملية تواجدنا معاًَ تنتمي هذه الهوية إلى المستقبل بقدرما تنتمي إلى الماضي. من المعتقد أن الهوية الثقافية لها تاريخ من أي مكان تأتي منه، ولكن مثل أي شيء تاريخي آخر، فهي عرضة للتحول المستمر

لذلك، عندما تطأ قدم هندة أرض كندا، تتعرض هويتها للتهديد لأنها على حافة الحاجز بين ماضيها ومستقبلها، وتحاول نسيان الماضي من خلال النظر إلى الصورة العائلية التي قامت بتأطيرها و معلقة في منزلها في تورنتو. اتصلت بها وأرشفتها في ذاكرتها، حتى أنها تهمس في نفسها: «لا شيء يمضي و ينتهي، لا ذكر تخبو و تمحي، تواظب علي سقي شجرة الصور حتي لو كانت تربة المجهرعصية علي إنباتها» (كجه جي: ١٨٧).

لأنها مر بتجربة امتلاك هوية واحدة من قبل، ولكن من الصعب عليها أن تكون على طريق تتخلى فيها عن جميع العلاقات المستقرة والثابتة وأفكارها ومعتقداتها القديمة واستعادة علاقاتها الاجتماعية و السلوكيات من جديد.

في البداية، تجد هندةصعوبة في التكيف مع كندا، بينما تواصل التكرار لنفسها:

«إن كندا جميلة و آمنة لكنها باردة بعيدة عنكم أكثر من اللازم كأن الذاهب اليها يموت و في الحياة يفارق اهله فلايرونه و لايراهم أو يسمعهم الا في الصور و عبر الاسلاك ماذا الفرجة بدون لمس و أحضان و لثم و شم» (كجه جي: ٥٣-٥٤).

ولكن عندما تتعرض حياتها الاجتماعية للسوق العالمي، تنفصل هويتها عن التاريخ والتقاليد المحددة وتبدو متقلبة، بحيث تتغلب على بعض مشاكل هجرتها، كالتوظيف والتعليم، من خلال تجاوز التوترات والتقاليدوالاختلافات في الهوية الثقافية، وهي تنتج وتعيد إنتاج هويتها من جديد حتى تتمكن من التقدم في ذلك المجتمع من خلال اكتساب هوية جديدة وتمثيلها والعثور على مزيد من الراحة من خلال الاندماج هناك أكثر وأكثر. كما تقول:

«نعم هى سعيدة لانها تأكل و تشرب و تعمل و تقرأ علي ضوء الكهرباء و تغتسل بماء وفير، و تربّى اولادها فى أمان وبدون هلع. سعيدة و مسرورة لانها تعيش حرة في بلد يسري فيه القانون علي الجميع مسرورة و ممنوعة، لأنها تمارس اختصاصها، بينما لايملك أطباء كثر من زملائها هذا الترف. لميفلحوا فى معادلة شهاداتهم. ممنونة و فى قمة الاغتباط لأنها مرتاحة فى عملها البعيد عن بيتها راحة قى لاتتوفر كثيرين ممن يعلمون في المبني المجاور لمنازلهم» (ذلكالمصدر مرة الاخرى:٢٢٩-٢٣٠).

استمراراً في موضوع الهوية، يعتقد هال أن العالم الجديد كمكان هو بالنسبة لنا سرد للاستبدال يقدم صعودًا عميقًا للغاية إلى ثراء خيالي معين ويعيد إنتاج رغبة لانهاية لها في العودة إلى الجذور المفقودة لإعادة إنتاج الشخص. إليها مرة أخرى للعودة إلى البداية (هال: ١٤٣-١٤٤).

لذلك، علىالرغم من أن هنده تعيش في بلد حر وقانوني مثل كندا، إلا أنها لا تشعر بالسعادة في وجودها وترى أن أساس مؤسستها يتزعزع وتحاول العودة إلى أرضها بأي ثمن حتى يسألها المراسل: «عما تريده من حياتها في كندا» ردا على ذلك ، قالت بحزن: «ماذا يتمني المرء اكثر؟! بل ماذا تتمني كندا أكثر؟!» (كجه جي: ٢٤٨).

الشتات، فجوة الأجيال

نتيجة أخرى للشتات هي الفجوة بين الأجيال التي لوحظت في الجيل الثالث من المهاجرين. فيالواقع، أدى الاختلاف في القيم والمعايير والمواقف إلى فصل الجيل الجديد عن الجيل القديم وتمرد الجيل الجديد على الجيل القديم (كاشي و كودرزي، ١٣٨٤: ٩٥) يعد الحد من التواصل اللفظي، والاضطراب في عملية الاستيعاب، وتقليل موسم المودة المشترك، وعدم الالتزام بثقافة الفرد، وعدم اكتراث الأجيال من بين أهم آثار هذا الانقطاع (شرفى، ١٣٨٢ش: ١١٣-١١٤).

من نتائج العولمة إنتاج وخلق هويات جديدة. اسكندر ، الجيل الثالث من هؤلاء المهاجرين ، هو نتاج شتات جديد نشأ بعد هجرة عائلته، الذين أجبروا على مغادرة وطنهم من أجل البقاء واستقرّوا في باريس.لقد نشأ مع هوية ثقافية مختلفة عن وطنه المشيد في الغرب لأنه جزء لايتجزأ من ثقافة ذلك المجتمع، حيث يذهب إلى مدارسهم ويتحدث لغتهم، كما لو كان يمتلك جزءًا منها. التربة متجذرة وتنتمي هناك، وفي مسار الثقافة العالمية، تم تشكيلها وفقاً لنمط محاكاة سلوكها بناءً على قيم ومعايير غالبية الأرض المضيفة أو غيرها.

خاصة عندما تنضم عمة والدته وردية إلى أسرتها كعضو جديد، لكن إسكندر لايفهم وجودها كأحد أفراد الأسرة لأن معنى كلمة "عائلة" حسب النص المذكور له باستثناء شخصين، أي الأب. والأم. غير محدد: «اسكندر، تعال سلم علي عمة وردية. هتفت به والدته حالما فتح باب الشقة عائدا من المدرسة. العائلة كلمة لاتعني له سوي شخصين، أبيه و أمه» (كجه جي: ٤٢).

ليس لديه فهم صحيح لوجود الأسرة، التي تشمل الوالدين والأجداد والعمات وأبنائهم. فلذا يبحث عن عذر للهروب منهذا الوضع الحالي حتى يتمكن من قضاء معظم وقته في غرفة بمفرده مع جهاز كمبيوتر: « قوم و يفتعل أي انشغال و يدخل الي غرفته و يجلس أمام الكمبيوتر. حديدي رمادي واجم ذو شاشة مضيئة. صديقه و أنيسه و أستازه و كاتم» (ذلكالمصدر مرة الاخرى: ٤٦).

من ناحية أخرى، فإن هموم وغضب عائلة اسكندر ومن ضمنهم والده في تعاملهم مع تاريخ أرضهم الذي يصفه المؤلف حالته بأنها: «ضرب بيده علي الطاولة و يسب حتي تنتفخ شرايينه و يعتل قلبه» (كجه جي: ٤٦) إنه عامل يسبب في إحساس عميق بالخسارة إلى جانب عدم فهم الهوية الوطنية لتكوينها في طفله، بحيث يصبح قلقًا وقلقًا عند التعامل مع تاريخ تلك الأرض ويبحث دائمًا عن عذر لتجنبها. حضور درس التاريخ ، وهو في أعماق فمه، ابتعد عن هذه الفكرة الراسخة القائلة بأن التاريخ لايسجل سوى الصراعات البشرية.

تحاول وردية -بدخولها البيئة الأسرية ورواية القصص عن أمتها، تقريب الإسكندر إليها، ومن خلال ذكر سلسلة من القصص والصور والأحداث التاريخية والرموز والطقوس الوطنية ، تحاول شرح التجارب، هموم الناس ومآسيهم، مثّل بالنسبة له الوطني العام ، وأعطى معنى لجنسيته حتى يتمكن من المشاركة في هذه السردية كعنصر من عناصر المجتمع الخيالي. في هذا الصدد ، تحاول وردية إزالة المسافة بينه وبين أسرته ، التي تسببت في انفصاله عن ثقافة الأسرة. حتى والدته تنسق معه لتوفير هذا الاتصال ، رغم أنها تواجه اعتراضات والده وتشجع إسكندر على بناء مقبرة إلكترونية لتقريبهم من ثقافتهم الأصلية. يُلقى به في وسط الأسرة التي كانت تقتصر في نظره على والديه فقط، ويقع في فخ النسب وبطريقة ما يصبح خبيرًا في عماته وأعمامه.

علىالرغم من أنه كان يحاول في البداية أنيكون مهملاً بعائلته، مشغولاً بالهواتف الذكية وشاشات الكمبيوتر والهرب من معارفه وأصدقائه لكنه الآن يحاول التقاط عناصر من الرموز الثقافية السائدة ودمجها وجعلها مميزة. العلامات للانفصال وإعادة التعبير بالمعنى الرمزي والقدرة على العودة إلى عائلته من خلال إبراز الاختلافات العرقية. كما يقول عنه المؤلف:«عاد الينا و غرز رأيته في سهول العمة الوردية. سهولها غابات نخيل قاتمة مفتوحة علي كل الاحتمالات لاتخلو من عورة و تصلح مسرحا مثاليا لمقبرة بيتية الصنع لإ مشغولة باليد» (كجه جي: ١٩١).

الشتات ، تقليد اللغة المضيفة

اللغة هي أحد المكونات التي لها علاقة قوية بالهوية؛ هوية تخلق ماضي الأمة وحاضرها ومستقبلها. (نيازي و آخرون، ١٣٩٢: ٢٠٧) ترتبط هذه التجربة بوجهة نظر هال، التي يؤمن بأن الهويات هي نقاط اتصال مؤقتة مع المواقف الموضوعية التي تخلق إجراءات خطابية لنا وهي نتيجة للتعبير أو ربط سلسلة من الموضوعات بتدفق الخطاب؛ وهي ما تسمى بالموسم المشترك متسق للغاية (هال: ٢٦) .

وردية، الشخصية الرئيسية في الرواية، مع الهوية اللغوية لبلده الأصلي، العراق، التي تم تصورها بالفعل ، تدخل بلدا أجنبيّا، باسم فرنسا، حيث تواجها مشاكل في فهم لغة الشعب الفرنسي وتتجنب الحديث معهم. بالطبع، وفقًا لهال، هزت هذه اللغة الوطنية كخطاب مهيمن التغييرات اللغوية الأخرى في الرموز النحوية والمعجمية وخلقت موقعًا لموضوع مثل وردية، مما دفعها إلى قطع علاقتها القوية بالماضي والسعي إلى البناء. هوية لغوية جديدة وتمثيلها .. في هذا الاتجاه.لذلك تحاول تعلم اللغة الفرنسية باللجوء إلى الراهبة المعينة لها، بينما تقول ابنة أخيه:« راهبة جاءت لها بقاموس صغير صار تسليتها في الليالي» (كجه جي:١٥٧).

لكن من ناحية أخرى، لا تمكن أن تكون هذا التمثيل كافياً للعمليات التي تتضمن الموضوع فيها، أو أن تكون متطابقًا معها، لذلك تتم وضع وردية في وضع مزدوج في هذا التمثيل ، والتي لاتمكن التعرف عليها بسهولة ، ولا تمكن. تتطابق مع هويتها اللغوية السابقة. تفقدها تمامًا ولها هوية لغوية مزدوجة وتلفظ الكلمات الفرنسية بلهجة عربية.

من ناحية أخرى، يعتقد هال أن الدول الغربية الحديثة هي مركز الإمبراطورية أو المجالات الإمبريالية الجديدة الفعالة التي مارست هيمنتها الثقافية على ثقافة المستعمرة (هال: ٩٢) الأمر الذي أدى إلى إجبار عائلة إسكندر على استبدال لغة البلد بالفرنسية، لحرمانه من معرفة اللغة العربية التي تعبر عن هويته الوطنية، وفصله عن التحدث بلغته الأم :

«موعب ما تعرف حكينا؟ موصوجي ... صوج ماما. تمد يديها المعروفتين و تحتضن كفه الكبيرة. حقك الزنب مو زنبك،تريد أعلمك عربي؟» (كجه جي: ٤٦-٤٥)

أعلن والدته فقط كخيار لهذا النقص. وبالطبع ، فإن هيمنة اللغة الفرنسية تسببت في هدم اللغة العربية في هذه اللامركزية، وتوصل ورديه إلى نتيجة مفادها أن تعليم اللغة العربية لاسكندر، الذي لا يستطيع استخدامها لتلبية احتياجاته اليومية، لا طائل من ورائه.

الشتات والآخر والدونية

في الدونية والاختلاف، يشير استيوارت هال إلى لعبة الاختلاف داخل الهوية ويعتقد أن لعبة الهوية والاختلاف هذه التي تشكل العنصرية ليس فقط من خلال وضع السود كنوع أدنى، ولكن أيضًا عن طريق الحسد والرغبة. يتعزز ما لايوصف، وهذا الاعتراف بالأشياء هو الذي يغير جذريًا العديد من مقولاتنا السياسية المستقرة؛ لأنه يتضمن عملية تحديد الهوية و "الأخرى" أكثر تعقيدًا مما كنا نتخيله سابقًا (هال: ١٧٦).

لذلك، فإن استحداث هذا الاختلاف في الثقافة والتاريخ، وكذلك الاختلاف في الطبيعة، أصبح عاملاً يجعل وردية تشعر بأنها في أرض الاغتراب التي تنتمي إلى الآخر وكغيره من طالبي اللجوء تجب أن تكون لديها شقة في ضواحي المدينة وقد حرمت من التسهيلات التي ترضيها وحسب أوصاف ابنة شقيقه:

« في طريقنا الي الكوافير تصارحني بأنها تحك شعرها و جسمها كثير و تريد دواء للحساسية. تكتشف لي عن ذراعيها بثور حمراء و خطوطا من آثار أظفارها. لابد أن الشقة الاولي التي أسكنوها فيها، في ضاحية غرينيي، ليس علي ما يرام » (كجه جي: ١٠٣) لتقبل الظروف الصعبة عندما عُرفت بأول طبيبة في العراق تمكنت من فتح غرفة ولادة للنساء في بلدة صغيرة.

أيضا، هنده ، التي لها مكانة عالية وكرامة كطبيب في العراق، لكن الغرب يرغمها على فهم وتجربة نفسه كشخص آخر وإدراك هذا الاختلاف في هويتها عند العمل في ذلك البلد مثل غيره من المهاجرين. أن تجتاز امتحانًا وتحصل على درجة معادلة لتواصل مسيرتها المهنية هناك.

حتى هذه السمة المؤلمة للتجربة الاستعمارية عندما أجبرت على العيش في منطقة صعبة ونائية حسب أوصافه: «لا شوارع و لا أبنية و لا بيوت متجاورة تشبه ما يوجد في المدن، بل فضاء تتناثر فيه منازل متباعدة» (ذالك المصدر مرة الاخرى: ٢٠٧) لأمر أساسي وحتى أطباء تلك الأرض غير مستعدين للذهاب إلى هناك ، فهي تفهم أكثر أنها علىالرغم من قبول هذه الظروف الصعبة والصعبة، ستتم رفض طلباتها.

علىالرغم من نشأة إسكندر هناك، لايمكن لهذا الغرب أن يتجاهل اختلاف هويته ويعتبره موضوعًا أجنبيًا ومختلفًا ويعامله مثل المهاجرين الآخرين، مثل المؤلف: «الولد يجاري قانون الصمت، يضع السماعات علي أذنيه و بغرق مابين شاشته و موسيقاه و لقد تعلم، منذ أن جاؤوا به طفلا الي هذا البلد، أن العمارات الباريسية مكومة بالهدوء و أن الجيران يكرهون الضوضاء. لاتتكلم في الممرات يا ابني» (كجه جي: ٨٨) يجب أنيتكيف مع قانون القصور في باريس، المفروضة على المهاجرين والمحكوم عليهم بالصمت والسلام.

النتائج:

يمكن الاستنتاج أن الوردية وهنده ، اللتان انفصلتا عن أرض أجدادهما، علىالرغم من أنهما حافظتا على روابط قوية مع تقاليدهما وأصولهما، لكن لم تعد لديهما حلم العودة إلى الماضي، لذلك كانت عليهما القدوم إلى اتفاق مع الثقافات التي تعيشان فيها، دون أنتصبحا مثلهم بسهولة أو تفقدا هوياتهما تماماً.

منناحية أخرى، فقد احتفظتا بآثار ثقافات وتقاليد ولغات وتواريخ معينة إلىجانب الثقافات الجديدة التي تشكلت من خلالها. لمتعدا الاثنتان مندمجين بالمعنى القديم ولن تكونا كذلك؛ لأنهما بالتأكيد نتاج العديد من الثقافات والتاريخ، وهما تنتمان إلى عدة أوطان في نفس الوقت، وعليهما العيش بهويتين وتتحدثان لغتين ثقافيتين وإقامة علاقات متبادلة بينهما.

الإسكندر كجيل جديد من العراقيين، رغم أنه خلقه التاريخ الذي خلقه ورث تقاليد ثقافية معينة،إلا أنه لايستطيع فعل أي شيء دون مفهوم لموقفه الخاص، مما يعني ضمناً كلمة العرق،

لذلك فهو يحتاج إلى تكريم. التاريخ المخفي الذي أتت منه، وفهم اللغة التي لم يتكلم التحدث بها ، وإعادة تقييم تقاليده وتراثه الثقافي لفهم جذوره.

المصادر

ابوالحسنى، سيدرحيم، (١٣٨٧ش)، «مؤلفه‌هاي هويت ملي با رويكردي پژوهشى»، *فصلنامه سياست، مجله دانشكده حقوق و علوم سياسي* ، دوره ٣٨، شماره ٤.

احمدزاده،شيده، (١٣٩١ش)، «*دركركونكي نوستالزيا در ادبيات مهاجرت ايران، مهاجرت در ادبيات و هنر(مجموعه مقالات)*، تهران، سخن.

اسميت، فليب، (١٣٨٣ش)، *در آمدى بر نظريه‌ي فرهنكي* ، ترجمه حسن بويان، تهران، دفتربزوشهاي فرهنكي.

برتنز،يوهانس ويلم. (١٣٨٢ش). *نظرية ادبى*، سجودى، فرزان (مترجم)، تهران: نشرآهنك ديكر.

شرفى، محمدرضا، (١٣٨٢ش)، «مجموعه مقالات كستت نسل‌ها»،*بزوشكده علوم انساني و اجتماعي جهاد دانشكاهي* مقاله در كتاب.

درويش بور، مهرداد، (١٣٨٦ش)، «آشيانه نو و افق‌هاى تبعيد؛ نكاهي كوتاه به جامعه شناسي ادبيات فارسي در تبعيد و مهاجرت»، *آرش*، شماره ١٠٠، ٢١٠-٢١٥ .

الزيود، ماجد، (٢٠٠٦م)، *الشباب و القيم في عالم متغير*، ط١، عمان: دارالشرق للنشر و التوزيع.

عماره، محمد، (١٩٩٩م)، *مخاطرالعولمة علي الهوية الثقافة*، ط١، دارالنهضة، مصر للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر.

غسان، منير و آخرون. (٢٠٠٢م). *الهوية الوطنية و المجتمع العلمي و الأعلام (دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الإعلامية)*، بيروت: دار النهضة العربية.

كاشي، غلام رضا ومحمد جواد، (١٣٨٢ش)، *كار و كاركر، شكاف نسلي در ايران./* كتاب با دو مؤلف.

محمد، عادل عبدالله. (٢٠٠٠م). *دراسات في الصحة النفسية (الهوية، الإغتراب، الإضطرابات النفسية)*، قاهرة: دارالرشاد.

المسكيني، فتحي. (٢٠٠١م). *الهوية و الزمان*،بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر.

نعمان، احمد، (١٩٩٦م)، *هذه هي الثقافة*، شركة دارالأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع، برج الكيفان، الجزاير.

هال ، استوارت و لارنس كراسبرك ، (١٣٩٧ش)، *بروبلماتيك هويت در مطالعات فرهنكي هويت و جهاني شدن*، ترجمه سياوش قلي بور و عليرضا مرادي، بزوهشكاه فرهنك، هنر و ارتباطات، وزارت فرهنك و ارشاد اسلامي

نيازي، محسن و ديكران، (١٣٩٢ش)، «زبان و هويت؛ تبيين رابطه ي زبان خارجي و هويت فردي، اجتماعي، فرهنكي و ملي»، *فصلنامه مطالعات فرهنكي و اجتماعي*، شماره ٣٠، ٢٠.